التعريفات الصهيونية الأخرى التي تجعل من اليهودية انتماءً عرقياً لا علاقة له بأي إيمان أو أخلاق . . أم أنهم لابد أن يتمسكوا بالتعريف الإسلامي لليهودي؟ وإذا كان التعريف الإسلامي لا ينطبق على غالبية يهود العالم، فماذا نسميهم إذن ؟ هذه قضية شائكة للغاية، على الفقه الإسلامي التعامل معها .

وقد اكتشف ابن النديم في الفهرست وضعاً مماثلاً، فقد لاحَظ أن بعض الزنادقة سموا أنفسهم «الصابئة»، وهم في واقع الأمر ليسوا من الصابئة الذين يشير إليهم القرآن. وقد فعلوا ذلك حتى يُطبق عليهم النص القرآني فيُصنَّفوا على أنهم «أهل كتاب» ويتمتعوا بالحقوق التي تُمنح لأهل الكتاب .

****

ويمكننا أن نتناول شكلاً من أشكال التحيز الذي يمكن أن يُعدَّ نتيجة غير مباشرة لعملية نقل المصطلح عن طريق الترجمة، وهو ما نسميه ظاهرة «المصطلح الغائب». ونحن حينما نتحدث عن هذه الظاهرة فسننتقل من علاقة الدال بالمدلول إلى غياب الدال تماماً، رغم وجود المدلول. فهناك جوانب في الواقع لم يرصدها أحد من علماء الاجتماع والتاريخ الغربيين وبالتالي لم يسمِّها، وهو لم يرصدها ولم يسمِّها لأسباب عملية واضحة (خشية الفضيحة، أو بسبب قصوره المعرفي الناجم عن وضعه التاريخي، أو مصالحه الاقتصادية، أو مجرد قصوره الإنساني)، وبالتالي فالذي يحدث أن هذا الدال الغائب يظل غائباً عنا، وخاصةً أننا حينما نستورد ونترجم لا نترجم مصطلحاً هنا وكلمة هناك، وإنما نترجم هيكلاً متماسكاً من المصطلحات، مما يعني أن عملية الرصد للواقع تستمر في الإطار القائم للدوال الموجودة. أما جوانب الواقع التي تندرج تحت إطار الغائب فلا يرصدها أحد، وإن رُصدت فهي تُهمَّش على الفور، إذ إنها تظل واقعة عرضية لا ظاهرة متكررة. وقد أشرنا من قبل كيف أن مصطلح «رجل أوربا المريض» يجعلنا نرصد علامات مرضه التي قد تؤدي إلى موته دون أن نرصد «رجل أوربا النهم» .